المحاضرة الثالثة

المؤثرات الأجنبية في النقد العربي القديم

الأستاذان: - داود امحمد

- زروقي عبد القادر

الحضارة العربية الإسلامية في أطوار نشأتها وعنفوانها اصطدمت بحضارات سبقتها وهذه الحضارات هي تراث إنساني ليس حكرا على أصحابه فحسب بل كل الأمم والحضارات من حقها أن تفيد من هذا التراث الإنساني.

وقد كان الشأن كذلك بالنسبة للحضارة الإسلامية حيث دخل الفكر العربي الإسلامي في معترك التطور ينفعل ويتفاعل باعتباره جزءا من الوجود

ومن الثابت أن الحضارة العربية الإسلامية شكلت قناة عظمى مرت من خلالها الحضارات القديمة بمللها ونحلها وأنها تفاعلت معها في ضوء عقيدتها وتصوراتها للوجود.

وإن كانت البحوث الاستشراقية تشيع أن دور تلك الحضارة لم يتعد الحفاظ على التراث اليوناني ليتسلمه الغرب ويشيع أن المعجزة اليونانية هي مصدر كل حضارة وأن سواها يظل ذيلا لها أو ربما صورة مشوهة لها خاصة في ظل النفوذ الذي تعرفه الحضارة العربية

المؤرخون الغربيون يتصورون أن الحضارة الغربية سقطت بسقوط روما وهيمن الانحطاط ما يقارب عشرة قرون سميت بالعصور الوسطى المظلمة إلى أن بدأ العالم الحديث ببداية النهضة الأوربية في القرن الخامس عشر ميلادي فغياب الحضارة الغربية من مسرح التاريخ رمى بالإنسانية في الظلمة والجمود وفي ظل هذا التصور فإن عصور الظلام (القرون الوسطى) هي أزهى عصور الحضارة العربية الإسلامية

الحضارة العربية الإسلامية استقت وجودها وضوابطها المعرفية من القرآن والسنة وقد استوعب الدين الإسلامي الديانات السابقة وهيمن عليها فجعل التوحيد جوهرها وسعادة الأنسان غايتها وتطلعت الحضارة العربية الإسلامية إلى استيعاب الحضارات السابقة أيا كان مصدرها (الهند الفرس اليونان الروم) لأنها تعتبر الحقيقة مطلبا إنسانيا مشاعا للخلق وفوق كل اعتبار

ولأن الحضارة العربية الإسلامية في مرحلة التأسيس اصطدمت بالحضارة اليونانية كان البحث في كل المؤثرات الأجنبية في جميع مجالات الثقافة

ومن أهم المؤثرات الأجنبية في النقد العربي المؤثر الأرسطي الذي كان له حضور في النقد العربي القديم

وقد كان أرسطو فيلسوفا واهتم الفلاسفة المسلمون بكل آثاره وكان من بينها كتاب الخطابة وكتاب الشعر

وقد أراد أرسطو من خلال كتابيه أن يضع قواعد تساعد على إتقان الفنون وما تحتاجه من وسائل للتفوق في إنتاجها

كتاب الشعر: لا يشكل هذا الكتاب إلا 1بالمائة من إنتاج أرسطو الفكري ألفه قبل كتاب الخطابة حسب رأي البعض حوالي سنة 334ق م وقد أملاه أرسطو على تلاميذه، وسبب تأليفه هو الرد على رأي أفلاطون الذي طعن في الشعر حيث يرى أن الشعر غير جدير بالذكاء البشري وأنه من أشد بواعث الفساد

كتاب الشعر بين يدي العرب في القديم: العرب اهتموا بكتاب الشعر قديما ضمن اهتمامهم بالفلسفة والمنطق وإن لم يهتموا بنقل الأدب لكنهم عرفوا كتاب الشعر

ترجمة أبي بشر متى بن يونس القنائي 328: ذكر ابن النديم أن كتاب الشعر نقله أبو بشر متى بن يونس من السرياني إلى العربي ونقله يحي بن عدي وللكندي مختصر عليه(349-350) ولخصه أيضا كل من الفارابي 339 وابن سينا 428 وابن رشد 595 تداوله الفلاسفة خلال ثلاثة قرون ثم صار في طي النسيان إلى أن نفض عنه الغبار تيار الحضارة الغربية في ثقافتنا العربية المعاصرة بتمهيد من بعض المستشرقين

في سنة 1952 بادر شكري محمد عياد إلى تحقيق كتاب أرسطو طاليس في الشعر نقل أبي بشر متى بن يونس القنائي من السرياني إلى العربي وفي السنة نفسها قام عبد الرحمن بدوي بتقديم تحقيق لترجمة متى بن يونس وفي سنة 1966 قام إبراهيم حمادة بنقل ترجمة متى إلى اللغة الإنجليزية

- الفارابي : رسالة في قوانين صناعة الشعر تلخيص لكتاب الشعر
- ابن سينا تلخيص كتاب الشعر

❖ ابن رشد تلخيص كتاب الشعر

من أبرز النقاد العرب المتأثرين بكتاب الشعر لأرسطو حازم القرطاجني

ولد في قرطاجنة الأندلس سنة 608 في فترة تساقط المدن الأندلسية تحت هجوم النصارى

درس العلوم اللغوية والشرعية وكان شاعرا ومهتما بالأدب

انتقل بين الأندلس والمغرب وتونس

كانت وفاته سنة 684

من أهم أساتذته أبو علي الشلوبين الذي وجهه إلى الأخذ بالعلوم العقلية

فكان اتصاله بالتراث الفلسفي عن طريق أبي علي الشلوبين 641 الذي تلقاه عن شيخه ابن رشد

ألف حازم كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء ويبدو من خلال هذا الكتاب أن له اطلاعا واسعا على جوانب من التراث الأرسطي والطريق الذي سلكه إلى ذلك التراث هو طريق شروح الفلاسفة المسلمين له

أما اسم أرسطو فلم يرد في الكتاب إلا مرتين

أما ابن سينا فورد اسمه إحدى وعشرين مرة ونقل عنه خمسة عشر نقلا

نقل عن الفارابي نقلين

ابن رشد لم يذكره رغم قرب العهد بينهما إذ توفي ابن رشد سنة 595 وولد حازم سنة 608 والفارق بينهما 12 عاما

تصور حازم للشعر اليوناني:

من خلال قراءاته للشروح وخاصة تلخيص ابن سينا يتصور ما يلي:

- أغراض الشعر اليوناني محدودة وأوزانها مخصوصة
- مدار جل أشعار اليونانيين على خرافات كانوا يضعونها يفرضون فيها وجود أشياء وصور لم تقع في الوجود (المنحى الأسطوري) وقد يتكئ شعرهم على خرافات حول أمور موجودة شبه كليلة ودمنة

المحاضرة الثالثة المؤثرات الأجنبية في النقد العربي القديم

- ويذكرون في أشعارهم كثيرا انتقال أمور الزمان وتصاريفه وتنقل الدول وما تجري عليه أحوال الناس
- شعر اليونان يخلو من التشبيه (تشبيه الأشياء بالأشياء)
- فالشعر اليوناني في تصور حازم محدود الآفاق إذ لم يكن للشعراء فيه كبير تصرف
- ومن هنا فما وضعه الأوائل من القوانين الشعرية يبقى محدودا لأنه تناول أغراضا محدودة
- فالشعر جاء مقصورا على محاكاة الأفعال والأحوال (المسرح والملحمة) واعتنى به أرسطو بحسب مذاهب اليونان ولم يجد ما هو موجود في شعر العرب

يقول حازم:

"فإن الحكيم أرسطاطاليس، وإن كان اعتنى بالشعر بحسب مذاهب اليونانية فيه ونبه على عظيم منفعته وتكلم في قوانين عنه، فإن أشعار اليونانية إنما كانت أغراضاً محدودة في أوزان مخصوصة، ومدار جل أشعارهم على خرافات كانوا يضعونها يفرضون فيها وجود أشياء وصور لم تقع في الوجود، ويجعلون أحاديثها أمثالا وأمثلة لما وقع في الوجود. وكانت لهم أيضاً أمثال في أشياء موجودة نحوا من أمثال كليلة ودمنة ونحوا مما ذكره النابغة من حديث الحية وصاحبها. وكانت لهم طريقة أيضاً - وهي كثيرة في أشعارهم - يذكرون فيها انتقال أمور الزمان وتصاريفه، وتنقل الدول وما تجرى عليه أحوال الناس وتؤول إليه.

فأما غير هذه الطرق، فلم يكن لهم فيها كبير تصرف، كتشبيه الأشياء بالأشياء، فإن شعر اليونانيين ليس فيه شيء منه، وإنما وقع في كلامهم التشبيه في الأفعال لا في ذوات الأفعال.

ولو وجد هذا الحكيم أرسطو في شعر اليونانيين ما يوجد في شعر العرب من كثرة الحكم والأمثال، والاستدلالات واختلاف ضروب الإبداع في فنون الكلام لفظا ومعنى، وتبحرهم في أصناف المعاني وحسن تصرفهم في وضعها ووضع الألفاظ بإزائها، وفي إحكام مبانيها واقتراناتها ولطف التفاتاتهم وتتميماتهم واستطراداتهم، وحسن مآخذهم ومنازعهم وتلاعبهم بالأقاويل المخيلة كيف شاءوا، لزاد على ما وضع من القوانين الشعرية.

فإن أبا علي بن سينا قد قال عند فراغه من تلخيص كتابه في الشعر: "هذا هو تلخيص القدر الذي وجد في هذه البلاد من كتاب الشعر للمعلم الأول، وقد بقي منه شطر صالح ولا يبعد أن نجتهد

نحن فنبتدع في علم الشعر المطلق وفي علم الشعر، بحسب عادة هذا الزمان، كلاما شديد التحصيل والتفصيل، وأما ها هنا فلنقتصر على هذا المبلغ". انتهى كلام ابن سينا.

وفي كلامه إشارة إلى تفخيم علم الشعر، وما أبدت فيه العرب من العجائب، وإلى كثرة تفاصيل الكلام في ألفاظه ومعانيه ونظمه وأسالبيه، واتساع مجال القول في ذلك[1].

المحاضرة الثالثة المؤثرات الأجنبية في النقد العربي القديم

1. منهاج البلغاء20-21